من زاوية تربوية:
التقنيات بين الأمان والإدمان

إعداد

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

أستاذ المناهج وطرق التدريس وعميد كلية التربية

التقنيات بين الأمان والإدمان

تطورت التقنيات في العصر الحالي تطورا مذهلا، وغزت جميع مجالات الحياة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أهميتها ودورها في تقريب المسافات، والتغلب على العقبات، وتخزين وإدارة ومعالجة المعلومات، وأداء المهام الصعبة في دقة متناهية دون أخطاء في أقصر وقت ممكن، وكل يوم تقدم لنا الجديد في جميع المجالات، وأصبحت كالماء والهواء، يستخدمها الجميع بسهولة ويسر فاتحة نوافذ على العالم أجمع ، كل يجد فيه ضالته المنشودة، وأصبح لفظ تقنيات يتبعه جميع المجالات؛ تقنيات الزراعة، تقنيات الصناعة، تقنيات التعليم .. وهكذا.

ويعد التعليم من أكثر مجالات توظيف التقنيات ، فتعددت النظريات والنماذج والآليات والأدوات والتطبيقات والبرامج وغير ذلك؛ فأصبحنا نعيش في زحام تقني تداخلت فيه العناصر والمكونات والمسميات والتسميات والمفاهيم، وأصبح كل من يريد أن يدخل مجال التعليم يربط نفسه بالتقنيات بشكل أو بآخر صحيح أو غير صحيح، حتى وصل الأمر إلى حد أن عالم التقنيات أصبح مهنة من لا مهنة له لغياب المرجعيات وتداخل التخصصات.

وبناءً على ما سبق استخدمت التقنيات بشكل صارخ من غير أساس علمي، لأن توظيفها في كثير من الأحيان يكون على يدي غير المتخصصين فأصبح لدينا تخمة تقنية مزمنة، أصابت مستخدمي التقنيات بالكثير من الوهن والأمراض، التي تمخض عنها العديد من المشكلات التعليمية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية التي ستتفاقم مع مرور الوقت إذ لم نتصد لها بعلم واحترافية، واضعين أمام أعيننا مقولة: "إن ما زاد عن الحد انقلب إلى الضد" .

وتتنوع مشكلات الإفراط في استخدام التقنيات؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر:

مشكلات اجتماعية كانعزال الأطفال في عالمهم الافتراضي عن والديهم ومجتمعهم فهم يعانون من صعوبات في النمو اللغوي والاجتماعي الذي ينتج من خلال تفاعلهم مع أسرهم ومجتمعاتهم، فأصبح الوالدان في عالم والأبناء في عالم آخر، وتشعر أن أطفالنا كادوا أن يكونوا من ذوي الإعاقات العقلية فهم معك بأجسادهم بينما عقولهم ومشاعرهم معلقة بالعالم الافتراضي بما فيه من ألعاب ومثيرات جاذبة طوال اليوم، وانعزال بين الأزواج فكل منهما منهمك مع أصدقائه على شبكات التواصل وساهم ذلك فيما يسمى بالطلاق الصامت، فزادت المسافات ، وتحجرت العواطف، وغاب الدفء، والحس المرهف بالآخر.

وقد ظهر ذلك كله فيما يسمى بالإدمان التقني والذي ترتب عليه قضاء جميع أفراد الأسرة أغلب وقتهم في عالم التقنيات حتى وصل الأمر إلى اصطحابهم لأجهزتهم المحمولة عند دخولهم دورات المياه، وهذا كله يصحبه هدر الوقت وضياع العمر وإهمال الأسرة والتعليم والعمل والسهر لفترات متأخرة من الليل والإجهاد الذهني الذي يترتب عليه أضرار جسدية مدمرة.

وازداد الأمر سوء بسيطرة الألعاب الخطرة التي توجه الشباب والأطفال عن بعد للقيام بأفعال خطرة كنوع من التحدي والذي يودي في كثير من الأحيان إلى الانتحار بتوجيه عن بعد من اللعبة التي تسيطر مع الوقت على أفكارهم ومشاعرهم.

أما عن الجانب الأخلاقي فحدث ولا حرج ؛ تواصل غير شرعي بين الرجال والنساء، ومواد إباحية تعرض ليل نهار على شبكات الانترنت من خلال مواقع موجهة تقدم ذلك ضمنيا على صفحاتها أثناء التعامل معها على أنه نوع من الدعاية والإعلان.

أما في المؤسسات التعليمية فقد أهملت المدارس وخربت الفصول وتحول التعليم إلى عملية آلية شحن وتفريغ للمعلومات من خلال مواقع ومنصات واستراتيجيات تعليم تقنية صرفة التي لا ينبغي الاعتماد عليها كليا إلا عند الضرورة مثل أوقات الجوائح كجائحة كورونا ، لأن الاعتماد عليها فقط يؤدي إلى" استشياخ التقنيات" الذي كان يعرف قديما باستشياخ الصحيفة، الذي حذر منه الإمام الغزالي قائلا: "من استشيخ الصحيفة ضاع منه نصف العلم"، ونسينا أن التعليم ليس فقط معلومات وإنما مهارات تكتسب بالنمذجة الحية والتدريب والممارسة الموجهة من قبل المعلم، وتفاعل إنساني تنقل من خلاله القيم والسلوكيات والتقاليد والعادات والمشاعر ونتعلم من خلالها مهارات عقلية واجتماعية وحياتية بالتفاعل الواقعي مع الحياة داخل المدرسة وخارجها في جو إنساني مفعم بالحيوية والنشاط، فأصبح التعليم معلبا ومصنعا ضرره أكثر من نفعه، وأصبحنا نقدم علبا فارغة من التقنيات تخدعنا بمتغيراتها وبريقها، ونسينا أنه ليس كل ما يلمع ذهبا.

وأصبح الكتاب إليكترونيا فاقدا لبريقه الذي عهدناه ؛ فغاب الكتاب الذي كنا نأتلف به فكريا ووجدانيا، ونشعر كأنه كائن حي نحدثه ويحدثنا، نقلب صفحاته فتلامس قلوبنا، ونقرأ سطوره فتسمو أرواحنا، ونحاوره فتنمو أفكارنا، ونفتقده إن غاب عنا، ونسعد به إن عاد إلينا، وكتب فيه وفي حبه الشعراء والأدباء القصائد والحكايات:

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافيا إلا الكتابا
صاحب إن عبته أولم تعب ليس بالواجد للصاحب عابا
كلما أخلقته جددنـي وكساني من حلى الفضل ثيابا
صحبة لم أشك منها ريبة ووداد لم يكلفني عتابا

وإذا كان هذا في الكتاب فما بالنا ببقية منظومة التعليم؛ لذا انتهت الدول المتقدمة مؤخرا لهذا الأمر فاتخذت العديد منها قرارات حاسمة بتعليق استخدام التقنيات داخل المدارس بدءًا من الآلة الحاسبة وانتهاءً بتطبيقات الذكاء الاصطناعي؛ كي يعود التلاميذ لتشغيل عقولهم وجوارحهم مرة أخرى ؛ فعادت السبورة السوداء والطباشير وعداد الحساب اليدوي والمعامل الواقعية والأنشطة الصفية وغير الصفية، وانطلق الدارسون إلى شواطئ الأنهار والبحار والمصانع والصحاري يدرسون واقعيا اللغة والعلوم والرياضيات ويمارسون أنشطة حية تنمي المهارات اليدوية والعقلية والحياتية والاجتماعية، فاحتلت بذلك المقدمة في التصنيف العالمي للتعليم، ثم يستخدم الطلاب التقنيات بعد ذلك بدون آثار جانبية.

وفي المجال الاقتصادي أيضا حدث ولا حرج ؛ فرغم استفادة الاقتصاد ونموه نتيجة للتقنيات إلا أنه يعاني أيضا من مشكلات عدة من جراء الإسراف في استخدامها واعتماده عليها اعتمادا كليا، بدء من السطو على حسابات الأفراد انتهاء بالهجمات السيبرانية؛ مرورا بالأعطال التقنية والفيروسات والابتزاز والتجسس على المعاملات الاقتصادية؛ فقد ينهار بنك أو مؤسسة أو شركة بهجوم سيبراني من جماعات "الهكرز" أو دول معادية أو شركات منافسة فتتحول استثماراتها الضخمة إلى سراب بكبسة زر، لذا علينا أن تكون مستعدة بالأرشفة المطبوعة الآمنة كنوع من الاحتياط حفاظا على المؤسسة من الضياع، فلا تضع البيض كله في سلة واحدة .

بل وصل الأمر الى وجود عملات رقمية مشفرة تستخدم على نطاق واسع يصعب تتبعها ومراقبتها فهي تستخدم في غسيل الأموال والتجارة المشبوهة وقد ارتفعت قيمتها بشكل جنوني يهدد الاقتصاد المحلي والعالمي.

إن كل ما سبق لا يقلل من دور التقنيات الرائع في تسهيل جميع مجالات الحياة، ولكن بشرط الترشيد والتقنين والتوظيف والاعتدال، فكما يقول إفلاطون " الفضيلة وسط بين رذيلتين"

ويكفي في هذا المجال أن نأخذ بوسطية الإسلام بين الإفراط والتفريط منطلقا لتوظيف التقنيات باعتدال وفعالية في جميع مجالات الحياة، ولنتذكر دائما أن استخدام التقنيات ينبغي أن يراعي " **الأمان والإدمان**"

د/ خالد عرفان

عميد كلية التربية بنين القاهرة